INTERNATIONAL JOURNAL OF SOCIAL, HUMANITIES AND ADMINISTRATIVE SCIENCES
Open Access Refereed E-Journal & Refereed & Indexed
JOSHAS Journal (e-ISSN:2630-6417)

APRIL 2021 / Vol:7, Issue:38 / pp.449-458
Arrival Date **:** 28.02.2021
Published Date **:** 11.04.2021
Doi Number **:** http://dx.doi.org/10.31589/JOSHAS.559
Cite As **:** Youssef, A.S.M. (2021). "تَعَدُّدُ الألسنةِ مِن المنظورِ القرآنيّ", Journal Of Social, Humanities and Administrative Sciences, 7(38):449-458.

Research Article

تَعَدُّدُ الألسنةِ مِن المنظورِ القرآنيّ

THE MULTIPLICITY OF LANGUAGES FROM THE QUR'AN PERSPECTIVE

KUR'AN AÇISINDAN/PERSPEKTİFİNDEN DİLLERİN ÇEŞİT ÇEŞİT OLMASI

Assistant Professor Abdul Salam Mohsen YOUSSEF
Mardin Artuklu University and interpretation of the Quran sciences expertise, Mardin / Turkey
في جامعة ماردين أرتكلو/تركيا عبدالسلام محسن يوسف . تخصص التفسير وعلوم القرآن. أستاذ مساعد
ORCID Number: https://orcid.org/

ملخص:
مما لا يشك فيه مؤمنٌ عاقلٌ باقٍ على الفطرة السليمة أن الله سبحانه وتعالى - هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلقه على الشكل الذي أراده والخصوصية التي متع بها كلَّ فردٍ من أفراد الأسرة البشرية، فحكمته ومشيئته اقتضت أن يختلف الناس في كثير من الأمور. ومما شاء الله – سبحانه - أن يختلف فيه البشر هو اللسان(اللغة)، فلم يُجمعهم على لسانٍ واحدٍ، ولم يُلزمهم بلغةٍ واحدة، بل جعل هذا الاختلاف والتنوع آيةً مِن آياته في الكون للعالِمين، .و أكد هذه الحقيقة بآياتٍ قرآنيةٍ خالدةٍ ما دامت السموات والأرض
إن أهمية البحث من أهمية الحياة الاجتماعية في بلادنا الإسلامية الكثيرة، فلا يكاد يوجد تجمعٌ بشريٌّ توحدهم لغةٌ، بل نجد لغاتٍ كثيرةً، يتكلم بها الناس فيما بينهم، لذا ينبغي تسليط الضوء على هذه القضية المهمة في عصرٍ ينادي بعض الناس، بل ربما كثيرون، إلى تقديس لغاتهم، والحطِّ من شأن اللغات .الأخرى
فما قصة اختلاف الألسنة وكيف نظر إليها القرآن الكريم، وكيف عالجها الإسلام، واحتضن كل تلك اللغات في حضنه الوسيع؟ وفي المقابل كيف .نظر إليها الفكر القومي (العرقي)، وما نتائج تلك النظرة السلبية على المجتمع الإسلامي؟ هذه الأسئلة وغيرها سيجيب عنها هذا البحثُ
الكلمات الافتتاحية: تعدُّد – اختلاف - الألسنة – اللغات - المنظور القرآني

ÖZET

Akıllı ve aklıselim olan mümin, Allah'u teala'nın insanları yarattığına dair şüphe götürmez, beşeriyet ailesinin fertlerinden her bir ferdine yararlandığı özelliği veren ve onu (insanı) istediği şekilde yaratan O'dur, böylece Allah'ın hikmeti ve isteği insanların çoğu durumlarda farklı olmasını gerektirdi, yüce Allah'ın insanların birbirinden farklı olmasını istediği şeylerden birisi dildir, (Allah) onları bir dil üzerinde bir araya getirmiştir, (fakat) onlara yalnız bir dili gerekli kılmamıştır, bilakis bu farklılık ve çeşitliliği evrendeki varlıklar için ayetlerinden bir ayet yapmıştır ve bu gerçeği de gökyüzü ve yeryüzü olduğu sürece ebedi olan Kur'an'ın ayetleriyle vurgulamıştır.

Araştırmanın önemi, birçok İslam ülkelerimizde sosyal hayatın önemindendir, neredeyse beşeri bir topluluk bulunmasında bir dil onları birleştirmesin, bilakis insanların aralarında konuştuğu pek çok dil olduğunu görüyoruz, bunun için bazı insanların hatta pek çoğu insanların dillerini takdis edip ve diğer dillerinin şanını indirdirmesiyle haykırdığı asırda bu önemli meseleye ışık tutmak gerekir.

Dillerin farklı olmasının hikayesi nedir, Kur'an'ı Kerim ona nasıl bakar, İslâm dini onu nasıl ele alır ve bütün bu dilleri geniş olan kucağında nasıl kucaklıyor? Bunun karşılığında milli (geleneksel) düşünce ona nasıl bakıyor ve bu olumsuz bakışın İslam toplumu üzerindeki sonuçları nelerdir? Bu araştırma, bu sorulara ve başka sorulara cevap verecek.

Anahtar Kelimeler: Çokluk--Farklılık--Diller--Kuran açısı/perspektifi.

ABSTRACT

It's pretty clear for any sane believer who maintains the natural disposition that Allah - Glory be to Him - is the one who created man, and He is the one who created him in the form He wanted and with the privacy that each member of the humanity is distinguished with; thus, His wisdom and will requires that people be different in many matters. The tongue (language) is one thing that Allah - glory be to Him - wills for people to be different in; He did not assign one language for all of them nor did He order them to stick to one language; rather, He made this diversity one of His signs for all people in the world; and Allah has confirmed this fact by everlasting verses as long as the heavens and earth endure.

The importance of research is a part of the importance of social life in our Islamic countries, as there is hardly a human gathering united by one language, rather, we find many languages that people speak among themselves. Therefore, we should shed light to this important issue in an era that some people, perhaps many people, call for sanctifying their languages, and denigrating other languages.

Thus, what is the story of the diversity of tongues; how did the Holy Qur'an view it; and how did Islam treat it, and how did Islam host all these languages in its wide embrace? On the other hand, how did national (ethnic) thought view it, and what were the consequences of that negative view on the Islamic society? These and other questions will be answered in this research.

Key Words: multiplicity - Difference - Tongues - Languages – Qur'an Perspective

الله- سبحانه وتعالى- هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلقه على الشكل الذي أراده والخصوصية التي متع بها كل فردٍ من أفراد الأسرة البشرية، فحكمته ومشيئته اقتضت أن يختلف الناس في كثير من الأمور. ومما شاء الله– سبحانه- أن يختلف فيه البشر هو اللسان(اللغة)، فلم يُجمعهم على لسانٍ واحدٍ، ولم يُلزمهم بلغةٍ واحدة، بل جعل هذا الاختلاف والتنوع آيةً مِن آياته في الكون، و أكد هذه الحقيقة بآياتٍ قرآنيةٍ خالدةٍ ما دامت السموات والأرض.

إن **أهمية البحث** من أهمية الحياة الاجتماعية في بلادنا الإسلامية الكثيرة، فلا يكاد يوجد تجمعٌ بشريٌّ توحدهم لغةٌ، بل نجد لغاتٍ كثيرةً، يتكلم بها الناس فيما بينهم، لذا ينبغي تسليط الضوء على هذه القضية المهمة في عصرٍ ينادي بعض الناس، بل ربما كثيرون، إلى تقديس لغاتهم، والحطِّ من شأن اللغات الأخرى، وينادون بالوحدة على أساسها، ويضربون بالنداء القرآني، في الاعتصام بحبل الله على أساس العقيدة، عرضَ الحائط، فيرتكبون الجُرْمَ مرتين، مرةً بالإعراض عن أوامر الله، وأخرى بالإساءة إلى عباده، ممّن يختلفون عنهم.

لهذا كله أردت أن أبحث في مسألة اختلاف الألسنة من خلال المنظور القرآني، وكيف عالجها الإسلام واحتضن كل تلك اللغات في حضنه الوسيع.

والسبب المباشر لاختيار الموضوع هو ظاهرة تعاظم النعرة القومية بين أبناء المسلمين والتوجه نحو تقديس لغاتهم دون غيرها، ويتناسى هؤلاء أن اللغات آية من آيات الله في الكون. فالبحث بهذا الشكل ناقوسٌ يضرب على آذان القوميين الذين يكرهون الألسنة التي كانت من حكمة الله ومشيئته؛ لعلهم يفيقون من سباتهم ويعودون من غيّهم. وقد اتبعت في بحثي هذا عدة مناهج:

فاتبعت المنهج التاريخي الوصفي باعتبار الألسنة ظاهرة وُجدت مع وجود الإنسان.

واتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي بتتبع النصوص القرآنية و دراستها تحليليا بغية الوصول إلى النتائج المرجوة.

وكذلك اتبعتُ المنهج النقدي في الردِّ على دعاة القومية الواحدة ومحاربة غيرها.

وقد أدرتُ البحث على مقدمةٍ وفصلين وخاتمة.

أما **المقدمة**: فتشمل بيان أهمية البحث، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع- كما تقدم-، ثم الخطة الموضوعة.

وأما **الفصل الأول** فيبدأ بتمهيدٍ عام، ثم يتضمن الحديث عن اللسان(اللغة) من حيث التعريف به، وأصل نشأته وتعدده، ثم مفهومه من خلال المنظور القرآني، والحكمة الإلهية في اختلاف اللغات بين البشر.

وأما **الفصل الثاني:** فيتضمن الحديث عن كيفية معالجته في المجتمع الإسلامي الأول، من خلال سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء من بعده، معرجا بالجانب الفقهي اللصيق بالموضوع، ثم الوقوف على النتائج السلبية السيئة للفكر القومي الدخيل على الثقافة الإسلامية، والردِّ على دعاته وفق المنظور القرآني.

وأخيراً **الخاتمة**، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

لعله من المناسب أن أقدم بحثي على أنه يتألف من قسمين علميين، الأول: الحديث عن نشأة اللغة قديما وحديثا من منظورٍ غير إسلامي، وفي هذا القسم رأيت كثيرين قد كتبوا فيه، وقد أفدت منهم، وأهم ما وجدته:

بحث بعنوان: نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، لـ هاشم أشعري نُشر في مجلة التدريس. وكتاب بعنوان: مدخل إلى علم اللغة لـ محمد علي الخولي، فقد أفدت منهما في مصادرهما الأجنبية، وكذلك الحديث عن أصل اللغة ونشأتها. وأما القسم الثاني من بحثي، وهو محوره الرئيس، فأقول: على الرغم من أهمية الموضوع وصلته الوثيقة بالمجتمعات الإسلامية، من حيث وجودُ الاختلاف في الألسنة إلا أن الموضوع لم يرتق إلى مستوى الحدث، مستوى الوقوف أمام التيار القومي بمعناه الضيق؛ حيث المعاداة لِلُغَةِ الآخر، والسعي لمحاربتها بشتى الوسائل، مع أن اللغة هي أهم مقومات بقاء أي أمة. أقول إنني بحثت كثيراً عمّن كتب في هذا الموضوع، وبالشكل الذي أريده، والمنهج الذي اتبعته من حيث التأصيل الموضوعي، وتتبع النصوص القرآنية، لكنني للأسف لم أعثر على كتابٍ أو بحثٍ أكاديميٍّ يصف الظاهرة ويؤصلها. نعم وجدت- على صفحات بعض المواقع - بعض المقولات التي لا تتعدى صفحتين أو ثلاث، ولعل السبب- كما أرى – يعود إلى:

الخصوصية التي يتميز بها هذا الموضوع، وخشية التصدر له في مجتمعات أصبح الصوت الأعلى لمن يقدّس لغة بلده، والله أعلم. لذا كان هذا البحث عبارة عن دراسة تأصيلية – من وجهة نظري- لمسألة تعدد الألسنة من المنظور القرآني، لعلها تلقى قبولاً عند القراء فتكون دافعةً لدراساتٍ أشمل وأوسع، لموضوعٍ مهمٍّ يمس حياتنا – نحن المسلمين - بشكلٍ مباشر.

إن البحث هو همسةٌ إيمانية في آذان التائهين في تعظيم الأنا، قائلا لهم: مهلا مهلا؛ فإنكم تخالفون حكمة الله سبحانه، وتتمردون على مشيئته في التنوع والاختلاف.

تمهيد:

وضع الإسلام الحنيف معايير كبرى أساساً للمساواة بين البشر، لا تلك التي اخترعها البشر بأنفسهم، وكانت نابعة من مرض الأنا وتحقير الآخر. فأكثر الشعوب تدّعي أنها الشعب المختار من قِبل الله سبحانه، وأن الشعوب الأخرى ليس لها إلا احترامها وتوقيرها والتعامل معها على هذا الأساس. لكن الإسلام العظيم لم يعترف بهذا ولم يقرّه، بل دعا إلى محاربته، وتسفيه عقول القائلين به، وذلك من خلال تلك النصوص الكريمة من آياتٍ مقدسةٍ وأحاديث شريفة، تؤكد على مبدأ المساواة في ما كان مصدره ومنشؤه هو الله سبحانه، أي الشكل والصورة وما يحتويانه من صفاتٍ متمايزةٍ من طولٍ أو عرضٍ، ومن لونٍ أو صوتٍ أو لغةٍ ..

لقد جعل الإسلام هناك تفاوتًا في المُعاملة بين البشر لا على الجِنس أو اللون أو اللسان بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله، فالطبيعة البشرية واحدة، وإن كان هناك اختلافٌ فهو لأمور عارضة.

المبحث الأول: تعريف الألسنة (اللغات):

كلمة(الألسنة) المستعملة في القرآن الكريم جمعُ لسان، والمقصود بذلك اللغة. يقول السيوطي:(والألسنة اللحمانية غير مرادة لعدم اختلافها، ولأن بدائع الصنع في غيرها أكثر، فالمراد اللغات)،[1] وكلمة (اللغة) مأخوذة من لُغْوَة، على وزن فعلة، من: لغوتُ إذا تكلمتُ. وقيل: مأخوذة من لفظة (لوغوس) اليونانية وتعني: كلمة[2]. واللغة هي مجموعة من الرموز والإشارات المستخدمة كأداة من أدوات المعرفة والتواصل الاجتماعي، وهي من أهم وسائل التفاهم بين أبناء المجتمع في شتى مجالات الحياة، ودونها يصعب تطوير النشاط الإنساني المعرفي؛ لأنها ترتبط ارتباطاً عميقاً بأسلوب التفكير.

وقد تباينت المصطلحات في تعريف اللغة، ولكنها تتقاطع في الحقيقة والمفهوم إلى درجةٍ كبيرةٍ، أو بتعبيرٍ آخر: كلٌّ عرّفها من جانبٍ دون الآخر، فهي عند ابن جني تعني: (مجموعة من الأصوات التي يُعبر بها كل قوم أو مجتمع عن أغراضهم واحتياجاتهم)،[3] وعند إمامُ الحرمين :" اللغةُ من لَغِي يَلْغَى، من باب رَضِي، إذا لهِج بالكلام، وقيل: مِن لَغَى يَلْغَى".[4]

وعند الإسنوي في شرح "منهاج الأصول": اللغاتُ: عبارةٌ عن الألفاظ الموضوعة للمعانِي"،[5] وعند دي سوسير: "نتاجٌ اجتماعيٌ لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد المهمة التي يتبناها مجتمع معيّن، لمساعدة الأفراد على ممارسة هذه الملكة".[6]

وإذا أمعنا النظر فيتلك التعريفات نجد أنها تتفق في جوانب عدةً وهي بالنتيجة من خصائص اللغة، وأهمها:

المبحث الثاني:أصل نشأتها وتعددها:

قُدّمت الكثير من التفسيرات والتكهنات حول كيفية اكتساب البشر للألسنة، وتمَّ طرح كثير من النظريات إلَّا أنها كانت كلها قصصاً وروايات أخذت مكاناً مهما في التاريخ، ولكن خلال العقود القليلة الماضية أصبح البحثُ عنها أكثر تطوراً وحداثةً، وأصبحت الأبحاث المختصة بمعرفة نشأة اللغات تستندُ على بحوثٍ وتحليلاتٍ علمية، وارتبطت نشأة اللغات ارتباطاً وثيقاً مع حركة الجسم الإيمائية.

اختلف العلماء الغربيون في أصل اللغات ونقطة البداية فيها، فمن قائل إنها هبة من الله لأهل رالأرض، أي أنها ذات أصل إلهي، ومن قائل إنها من صنع الإنسان واختراعه. وقد استند الفريق الأول بما جاء في الكتاب المقدس. وقد أخذ بهذا الرأي الفيلسوف الفرنسي روسو حين اعترف في رسالته التي ظهرت سنة 1750 م بالأصل الإلهي حيث يقول :" لقد تكلم آدم وتكلم جيداً،والذي علمه الكلام هو الله نفسه".[7]

فمن منظور العلم تعتبر لغة الإشارة هي أولى لغات العالم، ولا يزال العلماء والباحثون يميلون إلى رأيين مختلفين في مسألة نشأة اللغة فمنهم من يقول بأنَّ اللغة خُلقت مع الإنسان، ومنهم من يقول بأنها تطوّرت ببطءٍ خلال مراحل النمو المختلفة للبشر،[8]

رواية العلم الحديث عن نشأة اللغة:

أطلق العلماء في العصر الحديث على هذا المنهج اسم (علم الفيلولوجيا) حيث إنهم لم يصلوا بعد التحليل والتفسير المنطقي إلى قرارهم الأخير ما أصل اللغة، وكيف وصلت عبر الأجيال، ولا زالت الدراسات مستمرة إلى يومنا هذا.

إن الإنسان الأول- وفق نظريتهم - لم تكن عنده قدرة على الكلام، ولم تكن له لغة يتكلم من خلالها مع غيره، سوى لغة الإشارة باليد الواحدة أو باليدين، حيث يقول(مايكل كورباليس)- الأستاذ بجامعة (برنستون الأمريكية) في كتابه: (في نشأة اللغة): " من إشارة اليد إلى نطق الفم، وأنا أزعم أن اللغة في معظم هذه الفترة كانت إشارية في الدرجة الأولى، على الرغم من أن الاصوات أخذت تتخللها بصورة متزايدة....ويضيف: وقد يكون إصدار الأصوات قد خدم جزئياً – في نشأة اللغة – لكونه إضافةً إلى إشارة الوجه والفم واليدين، وجعل الإشارات غير المنظورة لكلٍّ من اللسان والتجويف الفمي مسموعةً. واللغة بالطبع - حتى لغة اليوم – نادراً ما تكون خالصةً".[9]

هذا هو رأي العلم الحديث، وهو – كما نرى- لا يستند على أدلةٍ قويةٍ ولا يعتمد براهين علمية، بل تدور كل تلك الأقاويل والنظريات في فلك الظن والاستنتاجات التي لا تغني عن الحق شيئاً.[10]

وهناك نظريات أخرى، بأقل قيمةً، مثل: نظرية محاكاة أصوات الطبيعة، ونظرية العقل.

الفصل الثاني:اختلاف الألسنة في المنظور القرآني وحكمة ذلك:

المبحث الأول: نشأة اللسان (اللغة) من المنظور القرآني:

تحدث القرآن الكريم عن اللغة ونشأتها، وكذلك عن تعددها وحكمة ذلك، في آياتٍ بيناتٍ ما تجعل النفس تطمئن بعد تيهٍ وضياع بين تلك النظريات البشرية المقطوعة عن الوحي، فاللغة مولودة مع الإنسان، الإنسان الأول، وهي الفطرة التي خلقه اللهُ عليها من أجل التواصل ومعرفة قضاء الحوائج والعبادات التي كلفه الله بها، فالله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم – عليه السلام – وهو أول مخلوق بشري، خلق معه اللغة، بل اللغات وأسماء جميع المسميات – كما سيأتي تفصيله تباعاً – وذلك كي ينهض في الحياة ويستعمر الأرض؛ فهو خليفته عليها. لكن ما طريق تعلّم اللغة؟ وكيف تعددت اللغات، وأصبح البشر يتحدثون بلغاتٍ كثيرة.

---

1 - السيوطي، حلال الدين عبدالرحمن، (المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت ط1418/1هـ)1/17.

2- انظر: ابن النجار الحنبلي،تقي الدين أبو البقاءمحمد بن احمد، (شرح الكوكب المنير في أصول الفقه تح: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1/)1993،1، ص97. وانظر: الشوكاني، محمد بن علي، (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مكتبة البابي الحلبي، ط/ 1939)،ص 12.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني،(الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط.د.ت 3 جـ1/33

- إمام الحرمين الجويني، عبدالملك بن بن عبدالله، البرهان في أصول الفقه، جـ1/4.135

5- الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم،(نهاية السول شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1999)، جـ1/160

فردينان دي سوسور، دي سوسير،(دروس في الألسنية العامة تر: مجموعة من المؤلفين التونسيين (6 29ص وينظر (محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف الغزي، الجزائر المؤسسة الجزائرية للطباعة1986 يونيو)، المقدمة

انظر: هاشم أشعري، (نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، مجلة التدريس، المجلد الخامس .7 العدد الأول

Richard Nordquist (6-3-2017), "Language Origins 8 (Theories) www.thoughtco.com, Retrieved 214-201 8. -

- الخميس، 24 مارس، 2011 . http://rashwan.ahlamountada.com 9

- لا شك أن النظريات كثيرة ، لكنني اكتفيت بأشهرها .10

اختلف العلماء في ذلك إلى أقوالٍ عدةٍ وهي:

التوقيف، والوضع، والمحاكاة، ورابع هو الجمع بين التوقيف والوضع

يقول الجويني :"اختلفَ أربابُ الأصول في مأخَذ اللغات، فذهب ذاهبون إلى أنَّها توقيفٌ من الله - تعالى - وصار صائرون إلى أنَّها تثبتُ اصطلاحًا وَتَوَاطُؤًا، وذهب الأستاذ أبو إسحاق في طائفة من الأصحاب إلى أن القَدْر الذي يُفْهَم منه قصدُ التواطؤ لا بدَّ أن يُفْرضَ فيه التوقيف".[11]

وزعم الأستاذُ أبو إسحاق الإسفراييني:" أنَّ القَدْرَ الذي يدْعو به الإنسان غيرَه إلى التَّواضع يَثْبتُ توقيفًا، وما عدا ذلك يَجوز أن يثبت بكل واحدٍ من الطريقين"[12]"

أدلة القائلين بالتوقيف

أولها: قوله- تعالى -:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31]، فالأسماء كلها معلَّمة من عند الله بالنَّص، وكذا الأفعالُ والحروف؛ لعَدم القائل بالفَصْل، ولأنَّ الأفعال والحروف أيضًا أسماء؛ لأن الاسم ما كان علامةً، والتمييزُ من تَصَرُّفِ النحاة، لا منَ اللغة؛ ولأنَّ التكلمَ بالأسماء وحْدَها متعذِّر.

وثانيها: أنه - سبحانَه وتعالى - ذَمَّ قومًا في إطلاقهم أسماء غيرَ توقيفيَّة في قوله - تعالى -: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ [النجم: 23]، وذلك يقتضي كونَ البواقي توقيفية.

وثالثها: قوله - تعالى -: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم: 22]، والأَلْسنةُ اللُّحْمَانية غيرُ مُرادة لعدم اختلافها، ولأن بدائعَ الصُّنْع في غيرها أكثرُ، فالمراد هي اللغات.

ورابعها - وهو عقليٌّ -: لو كانت اللغاتُ اصطلاحية، لاَحْتِيج في التخاطب بوَضْعِها إلى اصطلاحٍ آخر من لغةٍ أو كتابةٍ، ويعودُ إليه الكلامُ، ويلزم إما الدَّوَر أوالتسلسلُ في الأوضاع، وهو محال، فلا بد من الانتهاءِ إلى التوقيف.

ثانياً: الوضع، من قال: اللغة لا تكون وحيًا، ذهب إلى أنَّ أصل اللغة لا بدَّ فيه من المواضعة، أي أن البشر تواضعوا واصطلحوا على إطلاق هذا الاسم على ذلك المسمّى، ثم أصبح يُعرف بين الناس بهذا الاسم.

احتجَّ القائلون بالاصطلاح بوَجْهين

أحدهما: لو كانت اللغاتُ توقيفيةً، لتقدَّمت واسطةُ البعثةِ على التوقيف، والتقدُّمُ باطلٌ، وبيانُ الملازمة أنَّها إذا كانت توقيفيةً، فلا بُدَّ من واسطة بين الله والبشر، وهو النبيُّ؛ لاسْتِحالة خطابِ الله - تعالى - مع كلِّ أحد، وبيانُ بُطْلاَن التَّقَدُّم قوله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: 4]، وهذا يَقْتَضِي تقدُّمَ اللغة على البعثة.

والثاني: لو كانت اللغاتُ توقيفيةً، فذلك إما بأن يَخْلُق الله - تعالى - عِلمًا ضروريًّا في العاقل أنَّه وَضَع الألفاظ لكذا، أو في غير العاقل، أو بألاَّ يخلقَ علمًا ضروريًّا أصلاً، والأولُ باطلٌ، وإلاَّ لكان العاقلُ عالِمًا بالله بالضرورة؛ لأنَّه إذا كان عالِمًا بالضرورة بكَوْن اللهِ وضَع كذا لِكَذا، كان علمُه بالله ضروريًّا، ولو كان كذلك، لبطَلَ التكليفُ، والثاني باطلٌ؛ لأن غيرَ العاقل لا يُمكنُه إنهاءُ تمام هذه الألفاظ، والثالثُ باطل؛ لأن العلمَ بها إذا لم يكن ضروريًّا، احتيج إلى توقيفٍ آخر، ولَزِم التسلسل.

والراجح الذي أراه من مجموع هذه الأقوال: إنه يُمكن الجمع بينها بالقول: إنَّ اللغة توقيف وإلهام في الأصل، ثم تواضع الناس عبر التاريخ على وضع ألفاظ معينة، ولا مانعَ مِنْ وَضْع بعض الألفاظ مُحاكاة للأصوات الموجودة في الطبيعة، فجاز لأجل ذلك كله اختلافُ اللغات وتبايُنُها، وبهذا الرأي تندفع القوادح التي تلزم كل رأي على حِدَة

لغة آدم الأم:

تباينت الآراء واختلفت النظريات حول لغة آدم عليه السلام، أيها كانت؟ فاليهود كانوا قد أشاعوا بين الناس أن العبرية كانت لغة آدم - عليه السلام -، وذلك قبل الاكتشافات الأثرية، وانتشرهذا الاعتقاد في القرون الوسطى، إلى أن ظهرت الدراسات التي استندت على الاكتشافات الأثرية، وتشكل علم اللغات، فقد أكدت تلك الاكتشافات على وجود كتابات بلغاتٍ أخرى، تعود إلى ما قبل تدوين التوراة، بل قبل إبراهيم - عليه السلام -، حيث وجدت سجلات مكتوبة باللغة الصينية تعود إلى ما قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، وسجلات بالكتابة الهيروغليفية - المصرية القديمة- تعود إلى ألف وحمسمائة قبل الميلاد، أما أقدم السجلات التي وجدت على الإطلاق فقد كانت باللغة السومرية، والتي تعود إلى ما قبل خمسة آلاف سنة، أي في حدود (3500 ق. م) وعليه فإن البابلية هي اللغة الأم للبشرية، من خلال دراسات التشابه اللغوي، والاشتقاقات اللغوية والصوتية في جميع اللغات. كما أن ثمة نظريات أخرى تقول إن السريانية هي اللغة الأم، وأخرى تقول العربية، لكننا دائما نرجح ما يستند إلى الأدلة، ولو أنها جميعا لا تخرج عن دائرة الظن.

وبعد كلّ هذا نقول: إنه لا يوجد نصٌّ صريحٌ صحيحٌ عن لغة آدم - عليه السلام-، ويقيننا أن الأمر لا يقدم ولا يؤخر من قيمة الإنسان ولا لغته عند الله – سبحانه-، ولو كان أمراً مهماً يمس العقيدة والأخلاق لذكره الله عز وجل.

المبحث الثاني: كيف تعددت اللغات:

لعل هذا الموضوع من أكثر المواضيع جدلاً وتجاذباً في مسألة اللغة، وبقيت محل أخذٍ وردٍّ بين الباحثين والعلماء المتخصصين، وقد كانت بدورها محل نظرياتٍ ودراساتٍ لم تصل إلى حد العلم واليقين.

11 البرهان في علم أصول الفقه،تح عبدالعظيم الديب،(دار الوفاء المنصورط4/1418هـ)،130/1

السبكي،تاج الدين عبدالوهاب بن علي،الأشباه والنظائر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1991، 12جـ113/2

أولاً: رواية التوراة: ذكرت التوراة في موضوع تعدد اللغات، في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين مايلي:" وكان اللسان والكلام واحد في جميع أنحاء الأرض وحدث عندما أخذوا بالرحيل من الجانب الشرقي - إشارة إلى أبناء نوح وقبائلهم- أن وجدوا وادياً في أرض شنعان – الاسم القديم لبابل - وسكنوا فيه، وقال بعضهم للآخر هلموا لنصنع الآجُرَّ، وذلك بحرق اللبِن بالنار، وكان الآجرّ يستعمل بدلاً عن الحجر، والطين اللازب بدلاً عن الجصّ- وقالوا هلموا لنبنِ لنا بلدةً وبرجاً يناطح السماء، ولْنختر لنا اسماً لئلا نتفرق على وجه الأرض ولأن الله تعالى أراد أن يرى ما يصنعه بنو البشر من بلدةٍ وبرج، ونزل وقال: إن هؤلاء القوم مجموعة واحدة وهم على حدٍّ سواء في اللسان، وشرعوا القيام بهذا العمل، ولا شيء يمنعهم عما يريدون– بنأءه – تعال لتنزل إلى الأسفل وهناك نقوم بخلط ألسنتهم حتى لا يفهم أحدهم لسان الآخر، ومن هناك عمد الله إلى تفريقهم على وجه الأرض بأكملها وحال دون إتمام بناء البلدة وصار سبباً لتسميتها ببابل لأن الله خلط كل الأرض فيها، ومن هناك فرّقهم على جميع وجه الأرض".[13]

إذن جاء تعدد اللغات – وفق الرواية التوراتية – من قلق الله عز وجل – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - من تحركات أبناء نوح، وما يؤول إليه أمرهم من نتائج، لذا قال بعض الملائكة هيا اهبطوا إلى الأرض لإيجاد الاختلاف في ألسنتهم حتى يتفرقوا (فأُوجدُ الخلافَ بينهم حتى أفرض هيمنتي الإلهية)!؟[14]

إذن الغاية الإلهية من إيجاد هذا التبعثر في لغة أهل بابل– وفق كلام هاكس- هو عمارة الأرض وتشييدها، وهذا مخالف لرواية التوراة التي تؤكد أن الغاية الإلهية كانت إضعاف أهل بابل وكسر شوكتهم، وبعبارةٍ أخرى: إن التعدد في اللغات كانت مؤامرة من الله سبحانه الذي شعر بالغيرة والخوف عندما رأى الناس يتكلمون نفس اللغة؟! سبحانه وتعالى عما يصفون.

ثانيا: التعدد عند العلماء المسلمين:

خاض العلماء المسلمون في هذا الموضوع وتناولوه عقلاً ونقلاً، لما له من قيمةٍ عظيمةٍ في ما يتعلق بالإنسان، المخلوق الذي سخر الله له ما في السماوات والأرض، فعالجوه من حيث التعلم هل هو كسبي؛ تعلمه الإنسان مع مرور الزمن، أم توقيفي؛ بتعليم الله للإنسان؟ كما مضى، وكان محور كلامهم كله عند تفسير قوله تعالى﴿ وعلم آدم الأسماء كلها....)، وتساءلوا: ما الأسماء التي علّمها سبحانه آدم عليه السلام؟ في تفسيرها ثلاثة أقوال:[15]

الأول: كل الأسماء، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وعطاء. الثاني: أسماء معدودة لمسميات مخصوصة، وفيه خمسة أقوال:

أسماء الملائكة، وهو قول أبي العالية، والربيع بن أنس.

2 أسماء الأجناس والأنواع؛ قول عكرمة.

3.ما خلق من الأرض؛ الكلبي، ومقاتل، وابن قتيبة.

4.أسماء ذريته؛ ابن زيد.

5.أسماء النجوم؛ حميد الشامي.

الثالث: صفات الأشياء ونعوتها وخواصها.

وذهب آخرون ومنهم الرازي إلى أن المراد من الأسماء في الآية أسماء كل ما خلق الله من أجناس المُحْدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها، وكان ولد آدم عليه السلام يتكلمون بهذه اللغات فلما مات آدم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحدٍ منهم بلغةٍ معينةٍ من تلك اللغات، فغلب عليه ذلك اللسان، فلما طالت المدة ومات منهم قرنٌ بعد قرنٍ نسوا سائر اللغات، فهذا هو السبب في تغير الألسنة في ولد آدم عليه السلام.[16]

رأي الباحث: لعلنا لا نجد اختلافاً جوهرياً بين هذه الأقوال إن أردنا التعمق في مدلولات كلامهم، فالجميع متفق على أن التعليم كان من عند الله ابتداءً، ثم اختلفت الألسنة باختلاف الأماكن والأوطان. والذي ترتاح إليه النفس: أن الله عز وجل علّم آدم اللغات جميعاً وهو – آدم – أولُ مَن تكلم بها – جميعاً - وسمّى الأشياء بأسمائها في جميع اللغات، فلما تفرقوا تكلم كل قومٍ منهم بلسانٍ استسهلوه منها وألِفوه، ثم نسوا غيره. وهذا هو المعتمد عند جمهور المفسرين كالقرطبي والواحدي والماوردي والبغوي والنيسابوري[17]، وشايعهم في ذلك الأصوليون الذين ذهبوا إلى القول إن اللغات توقيفية.

المبحث الثالث: تعدد الألسنة من المنظور القرآني وحكمته:

هذا هو محور الدراسة، وهو الذي يفيدنا اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى، في عصرٍ ارتفعت فيه الأصوات المنادية بتقديس لغاتها، ومحاربة ما سواها، في منظرٍ يوحي للأسى والأسف على واقع المسلمين. إن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نقف طويلاً أمام مسألة أصل اللغة، ولا أمام تعدد اللغات، كتعددٍ واختلافٍ، بل أرشدنا وأمرنا أن نتدبر في حكمته سبحانه ونقف في محراب عظمته ونحن نجد في هذه الأرض آلافاً من اللغات المختلفة، وهي تتباين وأحيانا تتوافق في بعض الكلمات، بحكم المجاورة و المواطأة (التوافق) وحركة الترجمة . فقد بين سبحانه وتعالى

التوراة، سفر التكوين، الفصل 11، من الجملة 1 إلى 9 13
- انظر: المصدر السابق، وأعلام القرآن ص14.238
انظر في هذه الروايات: الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،(تح أحمد محمد
15 مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م)جـ1/482
الرازي، محمد بن عمر، المحصول في أصول الفقه،(دراسة وتح: الدكتور طه العلواني 16
مؤسسة الرسالة، ط3/418هـ)، جـ1/ 196
انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دارالكتب 17 الكتب المصرية، القاهرة ط2/ 1384هـ)،ج1/ 279، و الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1/ 1415)هـ،ج1/ 99، و البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (تح عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1/ 1420هـ)، ج1/102.

أنه هو الذي شاءت حكمته أن تتعدد ألسنتنا وتختلف، وأن هذا دليلٌ قويٌّ وبرهانٌ ساطع أنه القادر الحكيم المريد، وذلك في غير مرةٍ من كتابه العزيز.

فيقول سبحانه ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين﴾[الروم: 22]. وهذه الآية من أقوى الأدلة إثباتاً ودلالةً، على موضوع اختلاف الألسنة؛ فهي قطعيةٌ ههنا وليس بعد هذا الكلام كلامٌ من شأنه الحط من قيمة لغةٍ ما، إنها أكبر ردٍّ على الدعوات العرقية الضيقة. يقول القرطبي عند تفسيره الآية:" اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية، واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل فعُلم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر البارئ".[18] وصيغة الجمع في قوله تعالى (ألسنتكم) تدلنا مباشرةً إلى وجود ألسنةٍ كثيرةٍ مختلفةٍ،ولذا ذهب ابن كثير إلى ذكر أهم اللغات التي كانت منتشرة في الأرض يومها بقوله: "واختلاف ألسنتكم يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كُرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم، وهي حلاهم، فجميع أهل الأرض، بل أهل الدنيا، منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كلٌّ له عينان وحاجبان، وأنفٌ وجبينٌ، وفمٌ وخدّان، وليس يشبه واحدٌ منهم الآخر، بل لابد أن يفارقه بشيءٍ من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل"[19]. وأما أوجه التناسب بين المختلفات في هذه الآية – السموات والأرض، واللسان واللون، فيوضحه ابن عاشور بقوله:"فَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ مَشْهُودَةٌ بِمَا فِيهَا مِنْ تَصَارِيفِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، وَمَا هُوَ مَحَلُّ الْعِبْرَةِ مِن أحوالهما المتقاربة الْمُتَلَازِمَةِ كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُصُولِ، وَالْمُتَضَادَّةِ كَالْغُلُوِّ وَالِانْخِفَاضِ . وَإِذْ قَدْ كَانَ أَشْرَفُ مَا عَلَى الْأَرْضِ نَوْعَ الْإِنْسَانِ قُرِنَ مَا فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ مِنَ الْآيَاتِ بِمَا فِي خَلْقِ الْأَرْضِ مِنَ الْآيَاتِ، وَخُصَّ مِنْ أَحْوَالِهِ الْمُتَخَالِفَةِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ عِبْرَةً إِذْ كَانَ فِيهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَشْيَاءَ مُتَّحِدَةٍ فِي الْمَاهِيَّةِ، وَلِأَنَّ هَاتِهِ الْأَحْوَالَ الْمُخْتَلِفَةَ لِهَذَا النَّوْعِ الْوَاحِدِ نَجِدُ أَسْبَابَ اخْتِلَافِهَا مِنْ آثَارِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاخْتِلَافُ الْأَلْسِنَةِ سَبَّبَهُ الْقَرَارُ بِأَوْطَانٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَبَاعِدَةٍ، وَاخْتِلَافُ الْأَلْوَانِ سَبَّبَهُ اخْتِلَافُ الْجِهَاتِ الْمَسْكُونَةِ مِنَ الْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ مُسَامَتَةِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ لَهَا فَهِيَ مِنْ آثَارِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَلِذَلِكَ فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ آيَةُ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْوَانِ وَأَنَّ مَا تَقَدَّمَهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تمهيد لَهُ وَإِيمَاءٌ إِلَى انْطِوَاءِ أَسْبَابِ الِاخْتِلَافِ فِي أَسْرَارِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مُتَعَلِّقَةً بِأَحْوَالٍ عَرَضِيَّةٍ فِي الْإِنْسَانِ مُلَازِمَةٍ لَهُ فَبِتِلْكَ الْمُلَازَمَةِ أَشْبَهَتِ الْأَحْوَالَ الذَّاتِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ ثُمَّ النِّسْبِيَّةَ، فَلِذَلِكَ ذُكِرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَقِبَ الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ حَسَبَ التَّرْتِيبِ السَّابِقِ. وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبَيْنَ اخْتِلَافِ أَلْسُنِ الْبَشَرِ وَأَلْوَانِهِمْ"[20]

وبعد كل هذا نقول: إن الله سبحانه وتعالى لا يُسأل عمّا يفعل﴿لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ﴾[الأنبياء:23]،وإنه سبحانه وتعالى هو الحكيم﴿'إن ربك حكيمٌ عليمٌ﴾[الأنعام: 83] ولذا قد تكون مشيئته في اختلاف ألسنتنا لحِكمةٍ ما أو حكمٍ كثيرةٍ غابت عنّا، لكننا ومن خلال ظاهر الآيات نرى أنه سبحانه وتعالى قد أراد بذلك الدلالة على قدرته العظيمة، وأنه قادرٌ على أن يجعل لهؤلاء لغةً، ولهؤلاء لغةً، فإن هذا أبين في القدرة العظيمة.

ولقد قرر الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة مرةً أخرى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]

فالمقصود من الآية النهي عن التفاخر بالأنساب, وبيّن التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء. ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَرَفُواْ﴾ فبين أن الشعوب والقبائل للتعارف لا للافتخار [21]

ثم اختلف المفسرون في المقصود بالشعوب والقبائل، ومن هذه التفسيرات أن القبائل للعرب، والشعوب للعجم، وقيل العكس[22]. لكن الغاية كما تقدم هو التعارف من خلال التعاون لعمارة الأرض، ولا ينبغي أن يكون هذا الاختلاف – وهو سنة الله في خلقه – عامل تنافرٍ وتدابرٍ وتناحرٍ بين أبناء أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

وعلى ذلك فتفاضل الناس إنما يقوم على التقوى، و تمايزهم من خلال ما اكتسبوه من القيم والصفات الجميلة

وتتمثل أهم معالم فلسفة الإسلام في نظرته إلى الإنسان ونبذ التفرقة القائمة على العرق عندما قرّر – أيضا – أننا نعود في أصلنا إلى أبٍ واحدٍ هو آدم عليه السلام، وأمٍّ واحدةٍ هي حوّاء عليها السلام، فنسبنا جميعًا واحدٌ، ونحن إخوة في هذه الأسرة الإنسانية الواسعة، وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بلوْن أو شكل أو نشاط فذلك لا يغض من قيمته في أنه يشكّل ركنًا أساسيًا في تآلف هذه المجموعة وتضامنها في عمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض. فالإنسانية كلُّها حديقة بهيجةٌ مترامية الأطراف، وتختلف ألوان أزهارها وما يفوح منها من عِطر دون أن يكون لِلَون أو رائحة انفصال عن الآخر في إبراز بهجة هذه الحديقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ (مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[النساء:1]

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا خَلْقَهُ بِتَقْوَاهُ، وَهِيَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ومُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُمْ بِهَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وَهِيَ حَوَّاءُ، عَلَيْهَا السَّلَامُ... أَيْ: وذَرَأَ مِنْهُمَا، أَيْ: مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، ونَشَرهم فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ، ثُمَّ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَعَادُ وَالْمَحْشَرُ.[23]

ويقول سبحانه وتعالى – أيضا – ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:4] أي " وما أرسلنا إلى أمة من الأمم، يا محمد، من قبلك ومن قبلِ قومك، رسولا إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم"[24]. وهذا

18 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، -14/ 21
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،(تح سامي سلامة،دار طيبة، ط1420/2 هـ، 19 جـ309/6
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التحرير والتنوير،(الدار التونسية، ط1984،)جـ73/21 20
انظر الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد، النكت والعيون، (تـح السيد بن عبدالمقصود،دار الكتب 21
العلمية، بيروت، د.ط) جـ335/5.
25 انظر: الماوردي النكت والعيون جـ 335/5، تفسير القرآن العظيم جـ385/7.

- ابن كثير،تفسير القرآن العظيم جـ2/ 23.206
- الطبري، جامع البيان جـ516/16. 24

إقرارٌ منه سبحانه وتعالى على قيمة اللغة في حياة الشعوب، فالغاية هو الهداية، وسوف تكون الدعوة التي جاء بها الأنبياء أدعى للفهم والقبول إذا كانت بلسانهم، ومن رجلٍ منهم.

بعد أن وقفنا على هذه الآيات الكريمة التي تؤكد بدون شبهةٍ أنه سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا مختلفين في كثيرٍ من الصفات الخلْقية، ومن الألوان والألسنة..

وإذا علمنا أنه سبحانه وتعالى ذكر التعدد في سياق ذكر الآيات الدالة على قدرته وعظمته وحكمته، وجب علينا نحن البشر أن نعظّم شأن هذا الاختلاف وأن نعظم مَن أوجده، وذلك بمحبة جميع اللغات والإقرار بها، فهذا هو العمل السليم الذي يرضاه الله وأن تكون اللغات عاملاً من عوامل تآلف الناس جميعاً. فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله، فالشعوب والقبائل هي أصل الإنسان الاجتماعي، بغض النظر عن أن الشعوب للعجم والقبائل للعرب والأسباط لبني إسرائيل، أو المقصود هو التسلسل الهرمي في العلاقات الاجتماعية الأسرية، من أن الشعوب أعم من القبائل، ثم الفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك، فالمقصود هو خصوصية الأفراد والجماعات التي كانت من حكمة الله ومشيئته، وعليه فلا تفاضل على أساسها ولا تقرب من الله من خلالها، بل هو أمر آخر، وهو التقوى.

هذا هو معنى تعدد الألسنة، وهذه هي حكمة الله سبحانه منه، فكيف ترجم الإسلام هذا الأمر واقعاً، وكيف غيّر الفكرُ القوميُّ (العرقي العنصري) مسألةَ التعدد من مجراه الحقيقي إلى مستنقعات الأفكار الآسنة؟ هذا ما سنتعرف عليه

مفهوم التعدد في صدر الإسلام

لما كان الإسلام خاتمة الرسالات وكان من خصوصيته أنه خطاب للناس جميعاً﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[سبأ 28]، وأن الكل مطالب بالإيمان به لا شك أنه راعى خصوصية الناس، فهم مختلفون في صفاتهم، في لغاتهم وألوانهم، ولذلك جاء حرباً على العادات السيئة والخلال الضيقة، فهو يدعو إلى الوحدة الإنسانية والمساواة بين بني البشر، واحترام الإنسان وتكريمه من حيث هو إنسان، من أي لونٍ كان ومهما كانت لغته، مسقطاً كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية و القومية.

إن الإسلام لا ينكر القومية بمعنى ألاّ يحب الفرد وطنه أو يعتز بنسبه ولغته، ولكنه يرفض القومية التي هي قرين العصبية، والتي تدعو الفرد والجماعة إلى الانشقاق عن الآخرين، واحتقارهم ومعاداتهم لا لشيءٍ إلا لأنهم من قومٍ آخرين! وهذه النظرية هي التي أثارت نظريات الجنس المتميز والشعب المختار والتفرقة العنصرية.

لقد ترجم نبي الإسلام هذه الأوامر الإلهية إلى واقعٍ جميلٍ عاشه الناس- كل الناس- إلى معنى العدالة والمساواة في أبهى صورها وأظهر معانيها فَقَالَ عليه وعلى آله الصلاة والسلام : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ.. "[25] و" إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم"[26] ، لأن الإسلام خاتمة الرسالات ولأن كتابه ﴿...يهدي للتي هي أقوم...﴾[الإسراء:9]، حيث يعالج جميع شؤون الحياة فلا غرابة أن نجده قد استوعب كل اللغات والقوميات، فهم أبناء رجلٍ واحد وأم واحدة، وجاء الاختلاف للتعارف ﴿ لتعارفوا﴾ وليس للتعصب المقيت؛فالحقيقة ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[الحجرات:13]، وإذ ذاك تتنافس القوميات لتحقيق إنسانيةٍ أكمل وحياةٍ أهنأ لا سعياً لظلم الآخرين وكسب منافع جديدة.

لقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، في وقت كانت العصبية القبلية ضاربة بجذورها أعماق الفكر عند قدوم الإسلام، وقد خلد القرآن الكريم فضله سبحانه في تأليف قلوبهم﴿...لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بينهم..﴾[الانفال:63]، وهذه المؤاخاة كانت على أساس من عقيدة التوحيد، والولاء لله سبحانه، فآخى بين بلال بن رباحٍ وخالد الخثعمي، وبين مولاه زيد وعمه الحمزة، ووصف سلمان الفارسي نفسه بأنه ابن الإسلام، في الوقت الذي أعلن فيه حرباً على الملأ من صناديد قريش أبي جهل والوليد بن المغيرة وحتى عمه أبو لهب. فلم تنفعهم اللغة التي جاء بها القرآن الكريم ولم تسعفهم من سيف الحق. ولم يفرض اللغة العربية في مجتمع المدينة، مع أن اليهود كانوا يتكلمون بلغتهم العبرية، والنصارى بالآرامية، بل كان الموضوع الأهم هو العقيدة وحسب. واستمر الأمر في عهد الخلفاء الراشدين، والذين رباهم الإسلام وعلّمهم نبي الإسلام عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فقد ضمت أرض الإسلام أكبر امبراطوريتين على وجه الأرض، الروم وفارس، فلم يكن ثمة تفضيل على أساس اللغة البتة، بل عاشوا جميعا متآخين مستظلين بظلال التوحيد الخالص.

ولا يوجد في الإسلام نصٌّ صحيحٌ يفيد بإجبار الناس على ترك لغتهم والتحدث بلغةٍ أخرى، بل كان شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة، فالدين دين الله والخلق خلق الله، وهو الذي شاء أن يختلف خلقه في ألسنتهم، وبذا قطع الإسلام الطريق على المتجاوزين لحدود الله وحدودهم.

وإذا قرأنا التاريخ وحركة الفتوحات الإسلامية كلها لما وجدنا روايةً واحدةً تؤكد أن الصحابة رضوان الله عليهم قد منعوا أهل تلك البلاد من أن يتكلموا باللغة العربية فحسب. وإذا مررنا بتاريخ الخلافة الإسلامية وآخرها العهد العثماني، مرورا بالمماليك والأيوبيين وممالك المغرب الإسلامي الكبير– وهؤلاء جميعهم ليسوا من العرب- لرأينا أن الخلفاء– هؤلاء- وجندهم قد تركوا الناس وشأنهم في مسألة اللغة؛ لذا رأيناهم قد حافظوا على لغتهم الأم، إلى جانب تعلم اللغة العربية – لغة القرآن الكريم-.

نعم سجل التاريخ بعض التجاوزات التي حصلت بعد الفترة الراشدة، وهي تعكس حالات البعد عن الدين ومخالفة للنهج النبوي، لكن الأمر لم يصل إلى حالة عامة وظاهرة مستشرية. أما في العصور الأخيرة فقد أخذت المسألة – دعوة تقديس اللسان – منحى آخر، فما الأسباب وكيف كانت النتائج؟

رواه أحمد بن حنبل،أبو عبدالله، في المسند، باقي مسند الأنصار، (تح شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة25 الرسالة ط1/1421ه)، 38/ 474 23489

26 رواه مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(تح محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر وصلة الرحم، باب: تحريم ظلم المسلم(2564)دار إحياء التراث العربي – بيروت).

هذا ما سنتقف عليه بعد قليل.

ولا ننسَ ههنا أن اللغة العربية لها خصوصيتها، من حيث هي لغة القرآن الكريم، ولغة العبادة، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يتعلم منها ما يكفي لأداء عبوديته لله سبحانه، فلكل مسلمٍ – من غير العرب - لغتان؛ لغته الأم واللغة العربية.

المبحث الخامس: الدعوة إلى القومية في العصر الحديث:

قبل أن نتحدث عن الحركة القومية بين المسلمين وأسباب بروزها، نؤكد مرة أخرى أن محبة اللغة والاعتزاز بها أمر فطري لا يأثم على ذلك الإنسان، أيا كان، وللتوضيح أكثر لابد أن نبين درجات القومية ومتى تصبح شيئا سلبيا محرما يعاقب عليه القومي، فكلمة القومية لا تختزل بجملةٍ واحدة تبين هل هي حالة إيجابية أم سلبية، بل تحتاج إلى إيضاحٍ وبيانٍ، وعليه فإننا أمام أكثر من صورةٍ للقومية، والحكم يختلف من صورةٍ لأخرى، فهناك:

1 – قومية المجد: إذا كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن ينهج الأخلاف منهج الأسلاف في مراقي المجد ومدارك النبوغ، فهو مقصد حسن.

2 – قومية الأمة: إذا قصد بالقومية عشيرة الرجل وأمته من حيث الاهتمام وصلة الرحم، وأنه أولى الناس ببره وإحسانه، وأنهم أقرب إليه في السراء والضراء، كان أمرا حسنا يؤجر عليه، فالله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم أن يبدأ بعشيرته في الدعوة﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[الشعراء: 214].

3– القومية العقدية: وذلك بالدعوة إلى إحياء العادات التي جاء الإسلام حربا عليها، والقومية التي تدعو إلى إلغاء رابطة الدين وعقيدة التوحيد، وهذا هو التمرد على مشيئة الله وحكمته.

4 – قومية العدوان: وذلك عندما يتحول الحب للقومية إلى الانتقاص من أبناء القوميات الأخرى، والدعوة إلى التمايز على أساسها، وعندئذ ستولد ردة الفعل بين أبناء القوميات الأخرى والنتيجة الحتمية هي النزاع والشقاق والفراق[27]، وهي أمور جاء الإسلام بالنهي عنها ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...﴾[آل عمران:103]و﴿ ولا تَنازَعوا فَتَفْشَلوا وتذهبَ رِيحُكُم﴾[الأنفال:46]و﴿..لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء..﴾[الحجرات:11]

لقد شهد العصر الأخير بُعداً كبيراً عن الدين تمثل في إحلاله رابطة اللغة محل رابطة العقيدة، وبدأت الصرخات تتعالى، فالولاء للغة، والحب في اللغة، والاعتصام بحبلها، والطواف حولها، والتسبيح بحمدها، حتى غدت عقيدةً يصلي في محرابها القوميون صباحاً مساءً؟!

ونستطيع أن نجمل أسباب بروز الفكر القومي- على أساس اللغة - في العالم الإسلامي عامةً والعربي خاصةً في ما يلي:

- تأثر بعض المسلمين الذين يدرسون في أوربا بالفكر القومي العلماني فعادوا إلى بلادهم حاملين هذا المرض، ومبشرين به دون أي اعتبار لطبيعة الشعوب المسلمة.

- اندفاع العرب النصارى والمسلمين للمناداة بقوميتهم العربية كردّ فعلٍ على حركة التتريك التي نادى بها الاتحاديون الذين تسلطوا على الحكم أواخر حكم السلطان عبدالحميد.

- المؤامرة الغربية تجاه العالم الإسلامي وذلك بتحريك عملائهم، للحركة والعمل والدعوة إلى الفكر القومي بغية تمزيق العالم الإسلامي وتقزيم شخصيته، والتي كان العهد العثماني آخر أشكاله، وقد سمي يومها بتركة الرجل المريض.

الآثار السلبية للفكر القومي:

لا شك أن الذين تآمروا على المسلمين بإحياء النعرة القومية كانوا يعلمون ما للمسألة من نتائج سيئة وآثار لا تمحى في فترة وجيزة، فبعد أن كان المسلمون يعيشون إخوة متحابين في ظلال التوحيد، لا يعكر صفوهم اختلاف لغاتهم ولهجاتهم، بل يتعلّمونها ويُعلّمون بها، من فارسيةٍ وعثمانيةٍ وكرديةٍ وأمازيغيةٍ ... بل كانوا يجدون عظمة الله سبحانه في هذا الاختلاف، أصبحوا بعد رفع راية القومية مشتتين متخاصمين متعادين، فكل منهم بدأ يقدس لغته في الوقت الذي يكره لغة غيره، بل إن تمكن سعى لمحاربة باقي اللغات بشتى الوسائل.

المبحث السادس: علاج ظاهرة التقديس للغة

نحن نؤمن أن شرع الله هو خير شرع، وهو منهج الحياة كما قال سبحانه﴿ إِنَّ هذا القُرآنَ يَهْدِي لِلتي هيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:9]ولا يعقل أن تكون هنالك مشكلة ولا حل لها في شرع الله. إن ظاهرة الفكر القومي الضيق حالة طارئة على البشرية، ولا سيما في أو ساط المسلمين، وهي دخيلة علينا، والأصل أن المسلم يرى في اختلاف اللغات آية من آيات قدرة الله وعظمته وحكمته، ومن خلال هذه العقيدة كان ينظر إلى المسألة، وجاء العصر الأخير – كما أسلفنا – ليصبح المسلمون ضحايا هذا الفكر البغيض، وكان من نتائجه:

- القطيعة والهجر بين أبناء العقيدة الواحدة.

- خسارة المجتمع الإسلامي على كافة الأصعدة؛ فقلما توجد مجتمعات إسلامية تنتمي إلى لغة واحدة، بل نجد في أكثر هذه المجتمعات تعددا في الألسنة والتي تشكل بمجموعها المجتمع الإسلامي الواحد. وتظهر تلك الخسارة في التمايز بين أبناء المجتمع الواحد على أساس اللغة، والنتيجة هي إقصاء طاقات هائلة وقدرات كبيرة تتمثل في أبناء لغة معينة لصالح أبناء اللغة الغالبة من خلال إحلالهم محل أولئك، بغض النظر عن مؤهلاتهم العلمية وخبراتهم المكتسبة.

27 انظر: الحسن، محمد، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، (دار للثقافة والعلوم)،ص263

ولو التزم القائمون على قيادة المجتمع بأمر الله في النظر إلى جميع الناس على أساس من العدل والإنصاف، ولم يفرقوا بينهم من خلال منظار الفكر القومي العنصري، ورأوا في كل لغة إغناء للمجتمع، وإثراء للفكر، وأعطوا الناس حرية التكلم بلغتهم، والتعلم من خلالها أو على الأقل تعلمها إلى جانب اللغة الرسمية للدولة ... لغدا مجتمعا قويا متماسكا، غنيا في كل مناحي الحياة: العلمية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية.

ولا شك أن هناك فرقا كبيرا جدا بين الفكر القومي بمعناه الذي سبق، وحق الإنسان في أن يعيش بلغته . فمن حق أي إنسان أن يتمتع بحرية التعبير بلغته، من خلال تعلمها، والتحدث بها، وتعليمها للناس، والتأليف بها, وغيرها من مجالات الحياة، وهو بهذا يحيي آية من آيات الله في مشيئته وقدرته وحكمته.

إذا علمنا هذا، ووقفنا على نصوص القرآن الكريم في تكريم الله للإنسان، وفي اختيار الله للغته، وإعطائه الحق الكامل في التعلم بلغته... علمنا أن مَن يحارب لغة من اللغات، كأنْ يفرق بين الناس على أساسها، أو أن يمنع الناس مِن أنْ يتعلموا لغتهم، ويكتبوا بها، ويعبروا من خلالها....هو إنسان متمرد على مشيئة الله، رافض لِحِكمته، كاره للحق، مبغض للخلق، وعليه أن يُراجع أمر عقيدته وإيمانه.

الخاتمة

قبل أن أضع القلم معلنا الانتهاء من هذا البحث أود ختامه بأبرز ما جاء فيه، ململماً بذلك شتاته، فأقول وبالله التوفيق:

1 – إن اللغات كلها توقيفية من الله سبحانه، أوحاها – كلها- إلى أبينا آدم عليه السلام، ثم تعرضت- مع مرور الزمن- إلى شيءٍ من التطور والنمو والتغيير.

2 – إن القرآن الكريم تختلف نظرته عن نظرة البشر، فاللغات آية من آيات الله سبحانه وتعالى، وهي دليل القدرة والحكمة والمشيئة.

3- إن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده قد ترجموا هذه المعاني إلى واقعٍ عاشه المسلمون عدالةً وحريةً .

4 – إن الفكر القومي العنصري دخيلٌ على المسلمين، وقد صُدِّر إلينا من خلال قنوات النصارى والفرق الباطنية وبتأييدٍ مِمَّنْ لا يريدون الخير للمسلمين.

5 – إن الإسلام يعطي الحق الكامل للإنسان أن يتمتع بلغته: تحدثاً وتعلماً وتعليماً وكتابةً، و هي هبةٌ له من الله سبحانه.

6 – إن محاربة اللغة – أي لغة – من خلال منعها بأي طريقة، ومنع أبنائها من أن يتعلّموها ويعلّموها... لهو رفض لمشيئة الله، وتمردُ على حكمه وحِكمته، وظلمٌ لخلقه.

التوصيات

وهذه بعض التوصيات التي كانت تجول في صدري، وأنا أكتب في هذا البحث، أردت تدوينها هنا لعلها تجد آذاناً صاغية، فتكون في ذلك الفائدة:

1 - الوقوف طويلاً على حقيقة اللغة، وأن التعدد من حكمة الله ومشيئته، وذلك من خلال تلك النصوص القرآنية التي تؤكد ذلك.

2 – إشاعة ثقافة حرية التحدث لكل إنسان بلغته، وأن الأمرَ أمرُ الله سبحانه.

3 – التوجه نحو المناهج الدراسية في جعل التعدد في اللغات من حق الإنسان الطبيعي، ليس في ذلك فضلٌ أو منةٌ لأحدٍ سوى الله عز وجل.

4 – تربية الأطفال والشباب على تقبل اللغات الأخرى، وربط ذلك بمسألة الثواب والعقاب الأخروي الإلهي.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد بن حنبل،أبو عبدالله، في **المسند**،(تـ شعيب الأرنؤوط وآخرون،مؤسسة الرسالة ط1421/1 ه)-

- الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم، **نهاية السول شرح منهاج الوصول**،(دار الكتب العلمية، بيروت، ط1999/1).

- أشعري، هاشم، **نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي**، مجلة التدريس:(المجلدالخامس- العدد الأول، يونيو).

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، (ت محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط د.ت)

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد **التحرير والتنوير**، (الدار التونسية، ط/1984)

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، (ت سامي سلامة، دارطيبة،ط1420/2ه)-

- ابن النجار الحنبلي،تقي الدين أبو البقاءمحمد بن احمد، **شرح الكوكب المنير في أصول الفقه**(ت: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1993/1).

- البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (ت: عبد الرزاق المهدي دار إحياء االتراث العربي -بيروت، ط1/ 1420 ه)-

- بليل عبدالكريم، **أصل اللغة**، شبكة الالوكة، مقال بتاريخ 2011/1/23 م

التوراة، سفر التكوين

- الجويني، عبدالملك بن بن عبدالله، **البرهان في علم أصول الفقه**،(تـ عبدالعظيم الديب، دار الوفاء المنصورة، ط1418/4هـ).

- الحسن، محمد، **المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي**،(دار البشير، للثقافة والعلوم طنطا

- الخولي، محمد علي، **مدخل إلى علم اللغة**، الأردن، دار الفلاح للنشر ،ط/2000).

. http://rashwan.ahlamountada.com

الخميس، 24 مارس، 2011 -

- دي سوسير، **دروس في الألسنية العامة**(ترجمة: مجموعة من المؤلفين التونسيين).

- الرازي، فخرالدين محمد بن عمر، **المحصول في علم أصول الفقه**،(تـ طه جابر العلواني، مؤسسة، الرسالة، بيروت، ط1992/2).

- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي، **الأشباه والنظائر**،(دار الكتب العلمية، بيروت،ط1991/1).

- السيوطي، حلال الدين عبدالرحمن، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، (ت: فؤاد علي منصور، دارالكتب العلمية - بيروت ط1418/1هـ).

.- الشوكاني، محمد بن علي، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**،(مكتبة البابي الحلبي، ط/ 1939).

- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (ت: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م).

- فرديناند دي سوسور، **محاضرات في الألسنية العامة**، (ترجمة يوسف الغزي، الجزائر المؤسسة الجزائرية للطباعة1986م)

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**،(ت أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة،ط1384/2هـ).

- الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد، **النكت والعيون**،(تـ السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.)

- مسلم بن حجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**،(ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

- نجيب، منير محمد **الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام**، (مكتبة المنار، الأردن، ط1983/2)

- الواحدي،علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**،(ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم, الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط1/ 1415 ه)-